هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الالمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

— ٢ —

وما فرغ زارا من كلامه حتى ارتفع صوت من الحشد قائلاً (لقد كفانا ما سمعنا عن البهلوان، فليبرز لنا الآن لنراه) فضحك الجميع مستهزئين بزارا، وتقدم البهلوان ليقوم بألعابه وهو يعتقد أنه كان موضوع الحديث

— ٤ —

وبهت زارا مجيلاً أنظاره فى القوم، ثم قال:

ما الانسان إلاّ حبل منصوب بين الحيوان والانسان الكامل فهو الحبل المشدود فوق الهاوية

إن فى العبور للجهة المقابلة مخاطرة، وفى البقاء وسط الطريق خطرا، وفى الالتفات إلى الوراء وفى كل تردّد وفى كل توقف خطرٌ فى خطر

إن عظمة الانسان قائمة على أنه مَعْبَرٌ وليس هدَفاً، وما يُستحبّ فيه هو أنه سبيل وأفق غروب

إننى أحب مَنْ لا غاية لهم فى الحياة إلا الزوال، فهم يعبرون ما وراء الحياة، أحب من عظم احتقارهم لأنهم عظماء، المتعبدين يدفعهم الشوق إلى المروق كالسهام إلى الضفة الثانية

أحب من لا يتطلبون وراء الكوكب معرفة ما يدعو إلى زوالهم أو ما يهيب بهم إلى التضحية، لأنهم يقدّمون ذاتهم قرباناً للأرض، لتصبح هذه الأرض يوماً ميراثاً للانسان الكامل

أحب من يعيش ليتعلّم، ومن يتوق إلى المعرفة ليحيا الرجل الكامل بعده، فأن هذا ما يقصد طالب المعرفة من زواله

أحب من يعمل ويخترع ليبنى مسكناً للانسان الكامل فيهيئ ما فى الأرض من حيوان ونبات لاستقباله. فان هـــذا ما يقصد طالب المعرفة من زواله

أحب من يحب فضيلته، فما الفضيلة إلا الطموح إلى الزوال

وإن هى إلاّ السهم تُنشبه أشواقه

أحب من لا يحتفظ لنفسه بشرارة واحدة من روحه، فيتجه إلى أن يكون بكليته روحا لفضيلته لأنه بهذا يجعل روحه يجتاز الصراط

أحب من يكوّن من فضيلته ميوله ومطمحه، لأنه بمثل هذه الفضيلة يتوق إلى إطالة حياته كما يتوق إلى قصرها

أحب من لا يريد الاتصاف بعديد الفضائل، إذ فى الفضيلة الواحدة من الفضائل أكثر مما فى فضيلتين، والفضيلة الواحدة حلقة ترتبط فيها الحياة

أحب من يجود بروحه فلا يطلب جزاء ولا شكوراً، ولا يسترد، فهو يهب دائماً ولا يفكر فى الاستبقاء على ذاته

أحب من يخجل من سقوط زهر النرد لحظه فيرتاب بنشّ يده، إن أمثاله هم التائقون إلى الزوال

أحب من يبذل الوعود وهّاجة ثم يتجاوز عملة وعده، إن أمثاله هم التائقون إلى الزوال

أحب من يبرر أعمال الخلف ويدافع عن السلف لأنه بذلك يسلّم نفسه إلى نقمة معاصريه، فهو ممن يتوقون إلى الزوال

أحب من يعلن حبه لربه بتوجيه اللوم اليه، إذ يجب أن يهلك بغضب ربه

أحب من يبلغ التأثر أعماق روحه فى جراحها فيعرضه أتفه حدث للفناء، إن أمثاله يعبرون الصراط دون أن يترددوا

أحب من تفيض نفسه حتى يسهى عن ذاته، إذ تحتله جميع الأشياء فيضمحل فيها ويفنى بها

أحب من يحرر قلبه ويحرر عقله حتى يصبح دماغه بمثابة أحشاء لقلبه، غير أن قلبه يدفع به إلى الزوال

أحب جميع من يشبهون القطرات الثقيلة التى تتساقط متتالية من الغيوم السوداء المنتشرة فوق الناس، فهى التى تنبئ بالبرق وتتوارى

ما أنا إلا منبئ بالصاعقة، أنا القطرة الساقطة من الغضاء، وما الصاعقة التى أبشر بها إلا الانسان الكامل

— ٥ —

وبعد أن ألقى زارا هـذه الكلمات أجال أنظاره فى الحشد

وسكت ثم قال فى قلبه : لقد تملكهم الضحك ، فهم لا يفهمون ما أقول ، وما أنا بالصوت الذى يلائم هذه الأسماع

أعلىّ أن أسد آذانهم ليتمرنوا على الاصغاء بعيونهم ؟ أم يجب أن أضرب الصنج أسوة بوعاظ الصيام ؟ لعلّ هؤلاء القوم لا يثقون إلا بالألكن من المتكلمين

إنّ لهؤلاء الناس ما يباهون به فما عساه أن يكون ؟

إنهم يسمونه مدنيةً ليميزوا بها أنفسهم من الرعاة . فهم لذلك ينفرون من لفظة الاحتقار إذا ما ذكرت فى معرض الكلام عنهم ، فلسوف أخاطبهم إذن عن غرورهم

سأخاطبهم عن أحقر الكائنات ، عن الانسان الأخير ، وتوجه إلى الحشد قائلاً :

لقد آن للانسان أن يضع هدفاً نصب عينيه ، لقد آن له أن يزرع ما ينبت أسمى رغباته ، مادام للأرض بقية من ذخرها ؛ إذ سيأتى يوم ينفذ هذا الذخر منها فتجدب ويمتنع على أية دوحة أن تنمو فوقها .

ويل لنا ! لقد اقتربت الأزمنة التى لن يفوّق الانسان فيها سهام شوقه محلقة فوق البشرية إذ تخونه قوسه وتتراخى أوتارها

الحق ما أقوله : لن يخرج من الانسان كوكب وهّاج للعالم حين تزول بقية السديم من نفسه ، وهذا السديم لم يزل فيكم

ويل لنا ! لقد اقتربت الأزمنة التى لن يدفع الانسان فيها بالكواكب للعالم . ويل لنا ؟ لقد اقترب زمان الانسان الحقير الذى يمتنع عليه أن يحتقر نفسه

اسمعوا ! هأنذا منبئكم عن الرجل الأخير

إنه من يقف متسائلاً عن نفسه فلا يعلم أمحبة هى أم إبداع أم تشوق ، أم توهج كوكب

وستصفر الأرض فى ذلك الزمان فيصطفر على سطحها الرجل الأخير الذى يحول إلى حضارة كل ما يدور به ، إن سلالة هذا الرجل لا تباد ، فهى أشبه بالبراغيث ، والانسان الأخير أطول البشر عمراً

ويقول أناسى الزمن الأخير متغامزين : لقد اخترعنا السعادة اختراعا

لقد هجر هؤلاء البقاع التى تقسو عليها الحياة ، لأنهم شعروا بحاجتهم إلى الحرارة فأصبح كل واحد يحتك بجاره وقد احتاجوا إلى الدفء جميعاً

إنهم يقتحمون الحياة باحتراس لأن الوجل والمرض فى عينهم خطأ ، وما سلم من الجنون من يتعثر منهم بالحجارة وبالناس

إنهم يأخذون قليلاً من السموم حيث يجدونها طلباً للذة الأحلام ويكرعون منها ما يكفى دفعة واحدة طلباً للذة الموت

وإذا هم عملوا فانما يعملون للتسلية محاذرين أن تذهب هذه التسلية بهم الى حدود الانهاك

ليس بينهم من يصبح غنياً أو يمسى فقيراً ، وكلا الفقر والغنى يجلب الضنى ، وما منهم من يطمح إلى الحكم أو يرضى بالخضوع وكلاهما محرج مرهق

ليس هنالك راع وليس هنالك إلا قطيع واحد . إن كلاً من الناس يتجه إلى رغبة واحدة ، فالمساواة سائدة بين الجميع . ومن اختلف شعوره عن شعور المجموع يسير بنفسه مختاراً إلى مأوى المجانين

ويغمز أمكر هؤلاء الناس بعينهم ويقولون : لقد كان الجميع مجانين فيما مضى

لقد ساد الاحتراس بين هؤلاء القوم لأنهم أخذوا بالعبر ، فهم يتلقون المحادثات متهمكين ، وإذا نشأ بينهم خلاف بادروا إلى حسمه صلحاً ، لأنهم يحاذرون أن تصاب معدهم بالعلل والادواء

لهؤلاء الناس لذاتٌ للنهار ولذاتٌ أخرى لليل ، غير أنهم يراعون صحتهم أولاً

« لقد اخترعنا السعادة اختراعاً » ذلك ما يقوله أناسىّ الزمن الأخير وهم يغمزون

عند هذا أنهى زارا خطابه أو بالحرى تمهيد خطابه فتعالت أصوات التهليل من الحشد وهو يقول :

« إلينا بهذا الرجل الأخير يازارا ، اجعلنا على مثال أناسى الزمن الأخير فقد تخلينا لك عن الانسان الكامل

ولكن زارا وجم أمام هذا الحشد يسوده مثل هذا الروح فاستولى الحزن عليه وقال فى نفسه :

إنهم لا يفهمون كلامى ، فلست بالصوت الذى تتطلبه هذه الأسماع

لقد عشت طويلاً فى هذه الجبال وأنصت طويلاً الى هدير القدران وحفيف الأشجار فأنا أكلم هؤلاء الناس الآن كأنني أخاطب رعاة الماعز

إن روحى صافيـة تغمرها الأنوار كما تغمر القممَ تباشيرُ الصباح ، ولـكنهم يحسّـون بالصقيع فى قلبي ويحسبونني مُهرّجاً يأتيهم بالمفجع من النكات

هاهم أولاء يحدجونني بأنظارهم ويتضاحكون ، ففى قلبهم ثورة البغضاء وعلى شفاههم بسمة الثلوج

— ٦ —

وطرأ حادث كمّ الأفواه واسترعى الأبصار ، وكان البهلوان بدأ بألعابه فاندفع من النافذة وأخذ يتمشى على الجبل الممدود بين برجين فوق الساحة وما عليها من المتفرجين وما وصل إلى وسط الجبل حتى فتحت النافذة مرة ثانية واندفع منها فتى مخطط بالألوان كالمهرجين وسار متبعاً خطوات البهلوان صارخاً :

— إلى الأمام أيها الأعرج ! إلى الأمام أيها الكسلان ، أيها المرائى ذو الوجه الشاحب ! اذهب لئلا تداعبك نعلى ، ماهو عملك بين هذين البرجين ؟ أفليس فى البرج مكان سجنك ؟ إنك تسد الطريق فى وجه من هو أفضل منك »

وكان الفتى يتقـدم خطوة كلما قال كلمة حتى أصبح قاب قوس من البهلوان ، وعندئذ وقع الحادث الذى كمّ الأفواه واسترعى الأبصار . فان الفتى لم يلبث أن صرخ صرخة الجن وقفز فوق العقبة القائمة فى سبيله . ولما رأى البهلوان انتصار خصمه عليه أخذه الدوار وخلت رجله عن الحبل فرمى عارضة التوازن من يديه وسقط فى الفضاء حيث لاحت رجلاه وبداه كعجلة تدور فى الهواء

وماج الحشد على الساحة كالبحر اجتاحته العاصفة الهوجاء وانفرط الناس مولين الأدبار وانفرج المكان حيث كان يتجه الجسم بانحداره

ولـكن زارا لم يتحرك فوقع الجسم على مقربة منـه حيث تقطعت أوصاله وتهشم غير أنه كان لم يزل حياً ، وما عتم أن عاد روع الجريح إليه فرأى زارا جاثياً قربه فرفع رأسه وقال له :

— ماذا تفعل هنا ؟ ما كنت أجهل أن الشيطان سيضل خطواتى يوماً وها هوذا الآن يجرنى إلى جحيمه ، أفتريد أن تمنعه ؟

فقال زارا :

— وشرفى يا صديق إن ما تذكره لا وجود له ، فليس من شيطان وليس من جحيم ، إن روحك ستموت بأسرع من جسدك فلا تخش بعد الآن شيئاً

فرفع الرجل بصره مشككاً وقال :

إذا كان ما تقوله صحيحاً فأننى لا أفقد شيئاً بفقـد الحياة . فلست أنا إذن إلا حيوانا رقّصت بالضرب وغُذّيت بأفخر غذاء

فقال زارا : لا ، ليس الأمر كما تقول فأنك اتخذت المخاطرة مهنة لك ولم يكن فيها ما يشين . أما الآن فمهنتك هى أن تفنى ، من أجل هذا سأدفنك بيدىّ

ولم يحر المدنف جواباً بل حرك يده باحثاً عن يد زارا ليصافحها دلالة على شكره

(يتبع) فيلكس فارس

فرصة أدبية لمدة شهر فقط

كتب بقلم محمد عبد الله عنان

مصر الاسلامية

ثمنه ١٥ قرشاً ويباع بخصم ٣٣٪ أى بـ ١٠ قروش

قصص اجتماعية

ثمنه ١٠ قروش ويباع بخصم ٤٠٪ أى بـ ٦ قروش

ابن خلدون حياته وتراثه

ثمنه ٨ قروش (مجلداً بالكرتون)

وثمن الثلاثة كتب معاً ٢٠ قرشاً أى بخصم ٤٠ ٪

عدا البريد ، وهو قرشان عن كل كتاب داخل القطر وأربعة خارج القطر وللثلاثة كتب ٥ قروش فى الداخل وعشرة فى الخارج ويطلب من مجلة (الرسالة) ولجنة التأليف والترجمة بشارع الكردانى ومكتبة النهضة بشارع المدابغ وباقى المكاتب الشهيرة

وطلبات الجملة من المؤلف تليفون ٤٤٦٨٣